فاستدلَّ من خبرته بالامور المالية انهُ لا بدَّ ان يكون قد سكن قبلاً شيكاغو او نيويورك وقضى كرتن اياماً طوالاً يبحث في مكاتب السماسرة ويستعلم عن اسماء الشبان الذين كانوا يترددون اليها قبلما سرق البنك فاختار اسماء عشرين منهم ثم اختار اربعة فقط من بين العشرين واذا اسم اوستن بدويل يسبها فتتبع تاريخهُ فوجد انهُ سافر الى اوربا وعاد منها الى اميركا وجيوبهُ مثقلة بالمال فقال في نفسهِ انهُ هو الرجل . وسمع من احد معارف بدويل ان بدويل كان يقول اذا جمعت قدراً معلوماً من المال سكنت الاقاليم الحارة فتوجه الى فنزويلا وكتب كتباً الى قناصل اميركا في جزائر الهند الغربية يسألهم فيها ان يرسلوا اليهِ اسماء الشبان الاميركيين الذين قدموا مدنها الكبيرة حديثاً واهتدى اليهِ من ذلك . وحكم على كل الذين اشتركوا في سرقة البنك بالسجن المؤبَّد

اللئيمُ والكريمُ

أبى الله ان اُرمي اللئيمَ بتهمةٍ ... فيبدو بهِ لؤمي بشاهدِ عدلهِ
لكلِّ امرءٍ قسطٌ من اللؤمِ ثابتٌ ... بحجةِ إرثِ الطبعِ ان يتحلَّلهِ
فان لم يبنْ في عينهِ عيبُ ذاتهِ ... رآهُ بعينِ الغيرِ في ذاتِ شكلهِ
فمن ذا الذي ما جاورَ اللؤمُ قلبهُ ... وكم يا تُرى جازى الصنيعَ بمثلهِ
وايُّ امرىءٍ ما خانهُ الدهرُ في فتىً ... اذا لان عطفاً كان ارقَّ منهِ
فمن سارقِ الالحاظِ ساحرُ مكرهِ ... ومن بارقِ الالفاظِ باهرُ ختلهِ
إناءٌ بهِ الاكدارُ تلقى لصدعهِ ... وينفدُ صافي الماءِ منهُ لسيلهِ
فان تُفنِ الاحسانَ فيهِ اضعتهُ ... وما اضيعَ الاحسانَ في غيرِ اهلهِ
وان توفِ عهدَ الصدقِ يعقدْ بحبلهِ ... وان تصفِ خمرَ الودِّ يفسدْ بخالهِ
وان تصطنعهُ عدَّ فضلكَ زلةً ... وان تعفُ عنهُ صرتَ رقّاً لذلهِ
وان تهدِ درّاً بجودكَ يقلبْ ... عليكَ بضرٍّ بعدَ وطأةِ رجلهِ
"ومن تكدِ الدنيا على الحرِّ يرَ ما" ... اسيرًا لهُ بالفضلِ يزهو بفضلهِ

***

فعزَّ عن الدنيا واهليكَ انها ... ظلالٌ لهم والشيءُ متبوعٌ ظلهِ

ولا تطلب لنفسٍ صحواً من الهوى اذا كان هذا الغمر عاشق جهلهِ
وان رمت اعلاء الدنيء فظلمهُ فما سرَّ انسانٌ بغير محلهِ
وحاذر بما اوتيت اقرب مؤنسٍ وان يبدُ سوءٌ في الخليل فخلهِ
ولن لم يجدني النفس خلاً ومؤنساً ففي نفسهِ داءٌ ولا داء سالهِ

***

على ان قوماً قاطعوا اللؤم واصطفوا العلا كرماً ثم فازوا بوصلهِ
أباةٌ سمت نحو المعالي نفوسهم ومن يطلب العلياء بالله يعلهِ
تجلَّى لهم شخص الكمال بنورهِ فصورتهُ فيهم تبدَّت بمثلهِ
فكلهمُ شهمٌ كريمٌ سميحٌ وفيٌّ فلا يثنيهِ سيف بسلهِ
سميُّ الهوى لا يرتق الدهرَ ودُّهُ وكم واصلٍ يبكي على يوم فصلهِ
وكلهم يحيا كريماً وانما يرى موتهُ ان لا يموت ببذلهِ
فيسقى من الجاني الئيم حمامهُ وما سيفهُ الاَّ نداهُ لقتلهِ
يذوب لدى حلمٍ وعفوٍ لطافةً وما تاه من طبع الثقيل بحملهِ
فَأْذُ بالكريم الصادق الحرّ واعتصم اذا ما وفى حبل الئيم بحبلهِ

***

هم جيرتي صحبي واهل عشيرتي كرامٌ اذا جاد الزمان يخلهِ
وهم نصرتي يوم الكريهة ان رجوا حياةً بنصر الحق ماتوا لاجلهِ
نذرت لهم ودي دنوا او تباعدوا وما حلَّ عهدي ان همست بحلهِ
فنحن الالى بالنفس همنا فان نأى عن الجسم محبوبٌ وفى جمع شملهِ
سلامي لهم ما طاب ذكرٌ لواجدٍ وما بات ذكرُ الود شاغل شغلهِ
وما هام بالنفس الكريمة ماجدٌ فحرٌّ بها ان دلَّ صبٌّ بجملهِ
اليب الى الرحمن اطلب وجههُ ومن يطلبهُ فاز باخير كلهِ

دمشق الشام مثري قندلفت